فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله

يـــقـــدم

من سلسلة "دورة شرح الأربعين النووية"

الحديث الأول

لفضيلة الشيخ: هاني حلمي

رابط المـادة: http://www.way2allah.com/khotab-item-68127.htm

الحديث الأول: حديث النية "إنما الأعمال بالنيات"

أهمية الحديث في حياتنا

عن أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– قال: سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول: "إنما الأعمالُ بالنياتِ، وإنما لكلِّ امرئٍ ما نوى، فمن كانت هجرتُه إلى دنيا يصيبُها، أو إلى امرأةٍ ينكحها، فهجرتُه إلى ما هاجر إليه" صحيح البخاري

هذا الحديث قال عنه الإمام الشافعي: "حديث النية يدخل في سبعين بابًا من أبواب الفقه" وقال الإمام النووي: "لم يُرِد الشافعي الانحصار في السبعين".

أتعلم معنى هذا؟ مثلاً قول عز وجل "اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً" التوبة: ٨٠ ، ربنا لم يُرِد بالسبعين العدد بالضبط، فالشافعي يقول هذا الحديث داخل في سبعين باب؛ يريد أنه تقريب للعدد، أي أن النية لن تترك عملاً إلا دخلت فيه، افترض لو درسنا الفقه الآن، أول شرط من شروط الصلاة النية، ومن شروط الوضوء النية، كلما تكلمنا سنقول النية، ففي الطلاق إذا لم يكن هناك قصدٌ ونيةٌ فلا طلاق، فإذا قال لزوجته:اخرجي أو اغربي عن وجهي أو نحو هذه الكلمات، فنسأله هل قصدت بكلمتك هذه طلاقها؟ يقول: لا، فقط أردت أن تبتعد عن وجهي فقط فلا يقع الطلاق، أما إن قال لها: الحقي بأهلك يريد بكلمته طلاقها هنا يقع الطلاق، إذن الموضوع يتوقف على النية.

أقوال العلماء في هذا الحديث:

لذلك للعلماء أقول العلماء في شأن هذا الحديث؛ قال الشوكاني: "هذا الحديث قاعدة من قواعد الإسلام حتى قيل أنه ثلث العلم" ومن تعظيم العلماء لهذا الحديث رأوا أن يبدؤوا به المصنفات؛ وذلك تنبيهًا لطالب العلم إلى تصحيح النية، قال عبدالرحمن بن مهدي: "من أراد أن يصنف كتابًا فليبدأ بهذا الحديث"، لذلك تريد أن تكتب أي شيئ قف وتذكر ماذا تنتوي بعملك؟ ما نيتك؟ ما قصدك ؟ عملاً بهذه النصيحة، وصنع ذلك الإمام البخاري فقد بدأ بهذا الحديث في صحيحه، وكذلك تقي الدين المقدسي في كتاب عمدة الأحكام، والسيوطي في الجامع الصغير، والإمام النووي في المجموع وهنا في الأربعين، كلهم بدؤوا به "إنما الأعمال بالنيات"، وقال أبو عبيد "ليس في الأحاديث أجمع ولا أغنى ولا أنفع ولا أكثر فائدة من حديث إنما الأعمال بالنيات" .

نصائح لطلبة العلم

نذكر منهجنا في الشرح إن شاء الله؛ سنشرح الحديث مجملاً، ثم ليكن معك ورقة وقلم لتكتب الفوائد، الفائدة الأولى، الثانية، الثالثة، الرابعة .. وهكذا، مثلاً ذكرنا في هذا الحديث عشر فوائد، وفي غيره خمس تحفظها بأرقام لكي تكون المعلومات متسلسلة في ذهنك، اتفقنا سنعطي المعنى الإجمالي للحديث ثم نضع الفوائد العامة.

معنى علم أسباب ورود الحديث

هناك علم يسمى "علم أسباب ورود الحديث" وهو بالضبط مثل أسباب نزول القرآن، يعني مثلاً أنزل الله –تبارك وتعالى– قوله " الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ " الأنعام: ٨٢

فضجَّ الصحابة، وظنوا أن أي شخص يفعل شيئًا مخالفًا سيظلم نفسه ولن يكون له أمان، فيأتي النبي –صلى الله عليه وسلم– بالبيان فيقول ليس ذلك؛ إنما الظلم الشرك، ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح "إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ" لقمان: ١٣

ففي الحديث عن عبدِ اللهِ بن مسعود –رضي الله عنه– قال: "لما نزلت هذه الآيةُ: "الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ" شقَّ ذلك على أصحابِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، وقالوا: أيُّنا لم يظلمْ نفسَه؟ فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: ليس كما تظنون، إنما هو كما قال لقمانُ لابنِه "يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ" صحيح البخاري

فهنا وقعت حادثة فنزلت الآيات وفسرها النبي –صلى الله عليه وسلم– مثلاً حَسَدَ اليهود النبي– انتبهوا فسأضعها فائدة في الحديث– ألم يقولوا أن النبي –صلى الله عليه وسلم– مزواج والعياذ بالله، مارأيك؟ اليهود على عهد النبي –صلى الله عليه وسلم– لم يقولوا ذلك،كانوا إلى حد ما أطهر وأنظف من هؤلاء، فماذا قالوا؟ قالوا: ما لِهذا الرجل يتزوج النساء؟! لم يقولوها على معنى التعيير، قالوها على معنى الحسد فأنزل الله لآية " أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ" النساء : ٥٤ إذن هذا سبب نزول الآية، وكذلك للأحاديث أسباب نزول، يقع شيء ما فيقول النبي حديثًا.

سبب ورود حديث إنما الأعمال بالنيات

فبعض أهل العلم قالوا ما سبب ورود حديث "إنما الأعمال بالنيات"؟ بعض الناس ظنت أن هذا الحديث سيق بسبب رجل كان يدعي "مهاجر أمّ قيس" فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "مَن هاجر يبتغي شيئًا فإنما له ذلك" أي أن رجلاً هاجر ليتزوج امرأة يقال لها أمّ قيس، فكان يقال له مهاجر أم قيس، فقيل لذلك قال النبي في الحديث: "ومَن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها" صححه الألباني

فذكر البعض أن ربما يكون ذلك سبب نزول هذا الحديث، لكن هناك بعض الطرق ليس فيه أن حديث الأعمال هذا كان لأجل هذه الحادثة، فبعض أهل العلم يقول لا لم يكن هذا سبب ورود الحديث، وإنما حدثت حادثة يمكن أن يفسَّر بها الحديث وليس ذلك سبب ورود الحديث، ويبحث العلماء عن سبب صدور الحديث عنه؛ لأن هذا

العلم يُعين في فهم النَّص، لأني عندما أعرف سبب النزول سأفهم مراد النبي –صلى الله عليه وسلم– هذه الفائدة الأولى سبب علم أسباب ورود الحديث.

صحة الأعمال بصحة النيات

نبدأ في معاني الحديث؛ قوله "إنما الأعمال" كلمة "إنما" نسميها أسلوب حَصْر، يعني حَصَر الأمر كله، فالأعمال كلها متوقفة على النيات، قالوا تقدير الكلام: "صحةُ الأعمال موقوفٌ على صحةِ النيات" أي صحة الأعمال بصحة النيات، "إنما الأعمال بالنيات" أي إنما صحة الأعمال بصحة النيات، معنى ذلك إذا صحت النية يكون هذا سببًا في صحة العمل، لأنه لابد من شرطين لصحة العمل هما: الإخلاص والمتابعة، إخلاص.. صحت النية، متابعة.. أي أنه يكون مثل ما فعله النبي –صلى الله عليه وسلم–، إنما تفيد الحصر كما قال الله "إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ" الرعد: ٧ وهذا يسمى الحصر المخصوص، كما قال "إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ" فصلت: ٦

كما قال "إِنَّمَا الرِّبا في النسيئَةِ" صحيح مسلم، ليس معناه أن الربا في النسيئة فقط، فإنما مخصوصة بمعنى اهتم وركز جدًا فيه، فعندما يقول النبي –صلى الله عليه وسلم–: "الحجُّ عرفة" صححه الألباني، الحج ليس عرفة فقط لكنه أهم ركن، وأيضًا عندما يقول "النَّدمُ توبةٌ" صححه الألباني، فالتوبة ليست ندمًا فقط، إذن العمل ليس نية فقط، فلابد من الاتباع، لكن أهم شيئ تركز فيه وتهتم به وتنتبه له جدًا جدًا جدًا مسألة النية؛ لذلك قال "إنما الأعمال بالنيات"، فلو كانت نيتي صالحة لكني لم أعمل العمل هذا وفق هدي النبي –صلى الله عليه وسلم– فيُحبط العمل ويكون مردودًا، سيأتينا حديث "من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد" صحيح مسلم .

الفوائد من حديث إنما الأعمال بالنيات

نية المرء خير من عمله

إن الحديث هذا ورد بعدة صيغ منها: الأعمال بالنية بالإفراد، والأعمال بالنيات بالجمع، وعلى كلتا الأمرين،عندما يقصد بالنية المصدر تكون بمعنى كل النية، فتعطي نفس المعنى، "إنما العمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى" هل تشعرون أن هذا الكلام مكرر؟ معناه أن صحة الأعمال موقوفة على صحة النيات فهذا تقدير الكلام، صحة الأعمال متعلقة ومرتبطة بصحة النيات.

وبعد ذلك قال: "وإنما لكل امرئ ما نوى" ما فائدة هذه الزيادة؟ المعنى من نوى شيئًا يحصل له الأجر سواء عمله أو منعه عنه مانع، يعني تستطيع أن تضع تحت الكلمة دي عبارة "نية المرء خير من عمله" فالأعمال متوقفة على النيات،افترض أني انتويت عملاً ثم لم أستطع فعله؛ مثلاً نويت أن أحضر هذه الدورة لكي أدرس الأربعين النووية ثم حبسني حابس، أو نويت الذهاب للعمرة أو الحج ولم أستطع، فأشترط وأقول "اللهم محلي حيث حبستني" صحيح البخاري

أو أني هممت بحسنة وأردت عملها فصرفني عنها صارف مرضت مثلاً؛ يقول النبي –صلى الله عليه وسلم–: "إذا مرض العبد أو سافر كُتِبَ له ما كان يعملُ صحيحًا مقيمًا" صححه الألباني

مرض فلم يصلّ الجمعة! هنا أين العمل؟! لا يوجد عمل لكن توجد نية فقال النبي: "وإنما لكل امرئ ما نوى" لذلك نقول أن نيتك أهم من عملك.

المتاجرة مع الله

يمكنك أن تنوي من غير عمل وتأخذ ثواب العمل؛ فهذه هي المتاجرة مع الله، وهذا معنى قول النبي –صلى الله عليه وسلم– لعائشة "إن لكِ ما احتسبتِ" صحيح مسلم، وهو أيضًا معنى قول النبي –صلى الله عليه وسلم– " إنَّما الدُّنيا لأربعةِ نفرٍ عبدٍ رزقَهُ اللَّهُ مالًا وعلمًا فَهوَ يتَّقي ربَّهُ فيهِ ويصلُ فيهِ رحمَهُ ويعلمُ للَّهِ فيهِ حقًّا فَهذا بأفضلِ المنازلِ وعبدٍ رزقَهُ اللَّهُ علمًا ولم يرزقْهُ مالًا فَهوَ صادقُ النِّيَّةِ يقولُ لو أنَّ لي مالًا لعملتُ بعملِ فلانٍ فَهوَ بنيَّتِهِ فأجرُهما سواءٌ وعبدٍ رزقَهُ اللَّهُ مالًا ولم يرزقْهُ علمًا يخبطُ في مالِهِ بغيرِ علمٍ لا يتَّقي فيهِ ربَّهُ ولا يصِلُ فيهِ رحمَهُ ولا يعلمُ للَّهِ فيهِ حقًّا فهو بأخبَثِ المنازلِ وعبدٍ لم يرزقْهُ اللَّهُ مالًا ولا علمًا فَهوَ يقولُ لو أنَّ لي مالًا لعملتُ فيهِ بعملِ فلانٍ فَهوَ بنيَّتِهِ فوزرُهما سواءٌ " صححه الألباني

تقول ليس لدي مال ووالله لو كان معي مال كنت بنيت مسجدًا مثل هذا لكني لا أستطيع فعل ذلك، فتقول لو أن لي مالاً كما لفلان لصنعت مثل ما صنع فلان حبًا في الأجر.

تقول كنت أنوي أن أحج هذا العام لكن ليس معي مال، يقول النبي –صلى الله عليه وسلم– لأصحابه وهو معهم بغزوة خارج المدينة: "إنَّ أقوامًا بالمدينةِ خلفنا، ما سلكنا شِعْبًا ولا واديًا إلا وهم معنا فيهِ ، حبسهمُ العذرُ" صحيح البخاري، فكُتب لهم أجر الغزو، لذلك نحن نقول الآن قبل عشر ذي الحجة، إذا لم تحج هذا العام فارفع شعار اللهم قد حبسنا العذر فلا تحرمنا الأجر. إذن نية المرء خير من عمله والدليل "وإنما لكل امرئ ما نوى".

"مَن هَمّ بحسنة فلم يعملها، مَن هَمّ بسيئة فلم يعملها" ما الفرق في الجزاء بينهما؟

"وإنما لكل امرئ ما نوى" نأخذ منها فائدة أخرى، قد ينوي الإنسان شرًا، لكن من رحمة الرحيم الرحمن أنه ما أوقف الأمر في حساب السيئات على مجرد النية؛ وإنما على العزيمة على ذلك.

أوضح ذلك؛ مثلاً أجلس وأقول لنفسي قُمْ صلِّ، قم صل ركعتين بالليل، هذا يسمى هاجسًا أو خاطرًا، ثم قلت لنفسي قم صل وأذكر نفسي بفضل قيام الليل وأحث نفسي على القيام هذا يسمى حديث نفس، فالخاطر أصبح حديث نفس، ثم قلت إن شاء الله سأقوم والله لأقومّن للصلاة، وعزمت هذا يسمى همًّا يالعمل وعزمًا أكيدًا عليه، ثم أخذت في الخطوات العملية؛ نهضت حتى قمت بأداء العمل، بمجرد القيام من السرير بدأت كتابة الحسنات، فلو قمت من السرير ولم أجد ماءً أو منعني مانع فلم أصلِّ؛ كُتب لي الأجر هذا معنى من هم بحسنة فلم يعملها.

وعلى العكس أقول قم اسمع فيلمًا هذا خاطر، قلت لنفسي قم هذا فيلم شيق فأصبح الخاطر حديث نفس، عزم على القيام ليشاهد الفيلم ، وقام وهم بفتح الجهاز ثم تراجع هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة، لكن إذا عزم

وقام فانقطعت الكهرباء، هَمّ بسيئة وعزم عليها وحال ربه بينه وبين ما يشتهي تكتب عليه سيئة، انتبه للفرق بين "فلم يعملها" وبين "حيل بينه وبينها" إذن هنا موضوع النية خطير جدًا لهذا الاعتبار.

قوله: "فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه" قال ابن رجب: "إن الأعمال بحسب النيات، وإن حظ العامل من عمله نيته، من خير أو شر، وهاتان كلمتان جامعتان، وقاعدتان كليتان، لا يخرج عنهما شيء، ثم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك مثلاً من الأمثلة" فالكلمتين الأخيرتين يمثل لهذه القاعدة، فقال من كانت نيته خيرًا سيحصل له الأجر، ومن كانت نيته دنيا فله مانوى، هذا المعنى المجمل الآن نأتي للفوائد.

فوائد الحديث، فوائد النية

كلام العلماء حول النية يقع على وجهين:

١- تمييز العبادات عن العادات.

٢- تمييز المقصود بالعمل.

هذه هي الفوائد، أكرر ثانية:

١- وظيفة النية أنها تنقل العادة لعبادة.

٢- النية توضح لك هدفك الحقيقي.

١- العادة تنتقل إلى عبادة بالنيات

افترض أن شخصًا عطش فشرب، فعلها تلقائيًا، وعند رفعه للإناء ليشرب نوى أن يتقوى بشربه هذا على طاعة الله عز وجل، فالشرب هنا عادة، لكن عندما أعمل قلبه وقال أحتسب ذلك لأتقوى بذلك، كان له أجر، أو قال أشرب ونوى أن يتقوى على الصيام، أو قال سأشرب لأن ريقي سيجف ولن أستطيع إكمال الدرس؛ فالنية هنا نقلت العادة إلى عبادة. وآخر خرج مع زوجته وأولاده للترفيه، ذهب ومشى على البحر هذا مباح وعادة؛ لكنه نوى خلالها الترويح عن نفسه لتستعيد نشاطها، ونوى إدخال السرور على زوجته وأولاده. وثالث نزل ليشتري ملابس لأولاده في العيد ونوى بذلك إدخال السرور عليهم، وبلاشك أنهم رعيته وأنه مسؤول عنهم فاستحضر هذه النوايا ولم تكن نيته مباهاة الناس بالملابس أو تجنبًا لعتاب زوجته، فالنية الطيبة تنقل العادة إلى عبادة، إذن العادات تنتقل إلى عبادات بالنيات.

٢- من هو غايتك وقصدك؟ ولمن توجّه نيتك؟

هل مقصودك الصَّمَد؟ لماذا الصمد؟ لأن الصمد معناه المقصود لذاته، فهل مقصودك الصمد؟ هل جلستك هذه لله أم لتأخذ كلمات تتباهى بها؟ تقول أخذت إجازة في كذا وكأنك أصبح شيخ الإسلام وتقول روى فلان عن فلان، ما

هي نيتك؟ هل أتيت لتتعلم وتعلم الناس وتبلغ عن النبي –صلى الله عليه وسلم– كما قال تعالى: "لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكتُمُونَهُ" آل عمران: ١٨٧، ما هي نيتك؟ موضوع أخطر ما يكون.

حكم التلفظ بالنية قبل أداء العمل

ما حكم التلفظ بالنية؟ التلفظ بالنية بدعة منكرة، لم تثبت في كتاب الله، ولا في سنة نبيه –صلى الله عليه وسلم– إلا في مواضع؛ كالحج والعمرة يجوز ذلك، وكذلك في لصيام يقول: نويت، لا بأس بذلك، لكن في الصلاة لا يجوز، يقول نويت أصلي صلاة العشاء خلف الإمام فلان في مسجد كذا أربع ركعات حاضرًا لله، هذا الفعل لا يجوز أبدًا، فالجهر بالنية بدعة منكرة، قال الشيخ علاء الدين العطار: "ورفع الصوت بالنية مع التشويش على المصلين حرام إجماعًا".

من اللطائف: يقول الشيخ مسعد كلمة ظريفة في أمر التعدد،كان يقول في تعدد الزوجات، عندما يسألونه عن حكم التعدد؟ يقول: التعدد مستحب والنية معقودة والتحدث بها بدعة.

الْمُحَوِّل العجيب، كل ما نياتك تزيد أجرك يزيد

بِماذا نسمي النية؟ يسميها الدكتور عمر الأشقر –رحمه الله– "المحول العجيب"، أي كلما ازدادت نياتك في العمل كلما ازداد أجرك، هنا مبحث في هذه المسألة، هل عندما أصلي العشاء سأتذكر جميع أحاديث فضائل الأعمال؟ مثلاً أنوي بقلبي أن أصلي العشاء ليكتب لي نصف الليل و كذا وكذا... هل سأنتظر لأتذكر كل فضائلها؟ أم ما هو المطلوب مني؟ المطلوب هو النية الكبرى فقط أنت ترضى يا رب فعندما ترفع يدك وتقول بلسانك: الله أكبر؛ قلبك يقول: لعلك ترضى يا رب، اقبلها مني، هذه النية هي التي تأتي بالإخلاص.

الفوائد الإيمانية للحديث:

سنأخذ فوائد إيمانية حول الحديث، وفوائد فقهية، أما الفوائد الإيمانية:

كيف تكون مخلصًا في ضوء حديث إنما الأعمال بالنيات؟ كيف تكون مخلصًا؟ كيف تتعلم الإخلاص؟

١– الإخلاص تتعلمه في عشرة ثوانٍ، الإخلاص يحتاج عشرة ثوانٍ أو أقل، قال الرجل لأخيه: بنا نشيع جنازة، قال: هُنيهة، أي انتظر ثانية، ثم قال: بنا، فمثلاً أنه قال هيا بنا نشيع جنازة، الناس كلهم سيذهبون، قال له انتظر ثانية وفكر ما أجر الجنازة؟ ولم يتذكر الحديث؛ فقال لكي ترضى يا رب وذهب، أو تذكر ليكون له قيراط من الأجر، هذا ما يسمى إيمانًا واحتسابًا.

إذن كيف نتعلم الإخلاص؟ لا تتسرع وتبدأ العمل انتظر ثانية فقط ومرر الأمر على قلبك ولماذا ستفعله، لكن بدون وساوس، لأنه هناك من يوسوس له، كل ما بدأ عملاً يتردد، يقول لك أخشى كذا وكذا، ويلبس عليه الشيطان الأمر، لا تلتفت لذلك مرر الأمر على قلبك ثم اعمل فورًا.

٢- ابذل مجهودك في الطاعة فهو علامة الإخلاص، قال ذو النون: "علامة المخلص بذل المجهود في الطاعة" يعني كلما عَلَت همَّتك فاعلم أن هذا علامة على إخلاصك؛ فابذل قصارى جهدك.

٣- عليك بأعمال السرائر، قال -صلى الله عليه وسلم- في حديث الضياء الذي في المختارة "مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ خَبِء مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ فَلْيَفْعَلْ " صححه الألباني، تريد أن تتعلم الإخلاص؟ تعلمه في غرفتك الخاصة، أغلق على نفسك واعمل حيث لا يراك أحد، يمكن أن تخرج صدقة في السر ولا تعلم ما أنفقت، اعمل أي طاعة في الخفاء، المهم ألا ينظر إليه.

قاعدة إيمانية لرجاء قبول الأعمال

سنضع قاعدة إيمانية في قبول الأعمال، ونحن نقول صحة الأعمال بصحة النيات، هنا قاعدة تقول: "عمل لا تُرْعِهِ بصرك، ولا تحدث به نفسك، وتحتقره في جنب نعمة الله هذا أرجى الأعمال للقبول"، عمل لا ترعه بصرك لو نيتك سليمة فلن تحدث نفسك دومًا و تقول أنا أصلي، أنا أقوم الليل، أنا أصوم، أنا اقرأ كل يوم كذا وكذا،كنت كذا وكذا، لاترعه بصرك أي أنك لن تستكثر عملك وتظل تنظر إليه.

يذكر الغزَّالي شيئًا يسمى "رياء النفوس" يعني المفروض أن الرياء يكون للناس، صح؟ يعني أنا أعمل وأريد أن يقول الناس هذا درس طيب، ومعلومات قيمة؛ هذا يسمى رياء الناس، أما رياء النفوس فمثلاً رجل سمع حديثًا يقول النبي فيه "صلاةُ الرجلِ تطوُّعًا حيثُ لا يَراه الناسُ تَعدِلُ صلاتَه على أعيُنِ الناسِ خمسًا وعِشرينَ" صححه الألباني

وهو لم يصلّ وحده أبدًا، فقام وصلى فبكى بكاءً شديدًا، فقال في نفسه أنا خاشع، أعلم أن بي خيرًا كثيرًا، ودومًا أقول أني سأكون في الفردوس الأعلى، إن شاء الله، أُعجِب بنفسه وبصلاته، ثم يصبح مثلاً بين قوم يتحدثون عن التقصير في قيام الليل؛ ويقول أحدهم صليت ركعتين فقط، فيعجب هو بنفسه ويستكثر ما صلاه، يحدث نفسه ويقول صليت ساعة لا أحد مثلي، ويرى أنه أفضل الناس أعمالاً -لم يحدث أحد ولكن حدث نفسه- ثم ما إن تصبه مصيبة فيقول لماذا يا رب؟! وبعد هذا البكاء؟! فيحبط عمله، فلا ترعه بصرك لا تحدث به نفسك، احتقره في جنب النعمة لكي يظل عملك صافيًا، خالصًا لله تبارك وتعالى "وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخلِصِينَ" البينة: ٥، "أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ" الزمر :٣ ، طهر نيتك، فهنا أخذنا الفائدة الإيمانية كيف تكون مخلصًا وضعتها لكم فى كبسولة صغيرة.

من الفوائد الإيمانية: الإيمان والخمس نونات

من فوائد هذا الحديث دليلٌ على أن النية من الإيمان؛ لأنها عمل القلب، والإيمان عند أهل السنة والجماعة يدور على خمسة نونات، لماذا خمسة نونات؟ لأن آخر كل كلمة منهم حرف النون، احفظهم "تصديقٌ بالجنان، عملٌ بالأركان، قولٌ باللسان، يزيد بطاعة الرحمن، وينقص بطاعة الشيطان" أوضح ذلك..

معتقد أهل السنة والجماعة في الإيمان يتلخص في خمسة أمور: أنه تصديقٌ بالجنان أي بالقلب، أنه قول باللسان أي لابد من إقرار اللسان بقول أشهد ألا اله الا الله وأن محمدًا رسول الله، أنه عمل بالأركان، هل هذا العمل داخل

مسمى الإيمان أم خارجه؟ هذه قضية أخرى، لكن هناك اتفاق على أن العمل من الإيمان فالإيمان قولٌ وعمل، يعني افترض أن مسلمًا لم يعمل أي عمل من الإسلام؛ هل يسمى مؤمنًا؟ لم يفعل شيئًا قط؛ لا صلاة، ولا زكاة، ولا بر والدين، ولا صلة أرحام، هذه مسألة متخيلة فهذا نقص في الإيمان، نكمل؛ يزيد بطاعة الرحمن كلما تفعل طاعة تزداد إيمانًا، وينقص بطاعة الشيطان كلما تقع في المعاصي يقل إيمانك.

النية من الإيمان لأن محلها القلب

هنا أن النية محلها القلب، فهل النية عمل أم لا ؟ النية عملُ قلب، ونحن نقول أن الإيمان قولٌ وعملٌ؛ قول باللسان، وقول بالقلب يعني يقول ربنا تعالى "يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ" آل عمران:١٦٧، هذا يسمى منافقًا يقول بلسانه ما ليس في قلبه، ويقول تعالى "وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُواْ أَنُؤْمِنُ" البقرة:١٣ قوله باللسان فقط، هذا أمامنا مسلمٌ لكنه عند الله منافق، إذن الإيمان قولٌ باللسان وقولٌ بالقلب، وعمل بالأركان؛ مثل الصلاة فنحن نصلي بالأعضاء أي الأركان ، وكلنا يتوضأ بأعضائه السبع وهكذا، هذا عمل بالجوارح بالأركان، وعمل بالقلب؛ مثلاً قمت لأصلي مثل ما قرأت في الكتاب والسنة عن كيفية الصلاة، نظرت بعيني إلى الأرض، قرأت الفاتحة بِترَسُل، أفعل كذلك كما تعلمت من الكتاب والسنة، لكن قلبي منشغل بالمباراة، منشغل بالمال أو بالدنيا وهكذا، فالقلب هنا مشغول إذن ينقص هذا العمل لأنه لم يجتمع به عمل القلب وعمل اللسان، نستخلص من ذلك أن النية عمل قلب؛ إذن النية من الإيمان، في الحديث هذا دليل على أن النية من الإيمان، ففي الحديث دليل على أنه يجب على المسلم قبل القدوم على العمل أن يعرف حكمه لينوى ذلك، ويدل على اشتراط النية في أداء الطاعات.

النية قبل الشروع في العمل تحدد هل هو عملٌ مقبول عند الله أم عملٌ محبط والعياذ بالله

سأتكلم في فائدة مهمة جدًا حول النية، انتبهوا معي؛ رجل صلى بالناس لكي يقولوا صوته جميل جدًا، هذه نيته فقط، وآخر حجَّ ليكتب الحاج فلان، وثالث تصدق لكي يتفاخر وكأنه في فرح، ثم ندموا بعد ذلك وصححوا نيتهم؛ فالأول عندما كان داخلاً للصلاة ليتغنى بصوته تذكر أقوال العلماء، وأن عمله ربما يحبط، فيستأنف العمل ويجدد نيته، انتبهوا؛ هو لم يبدأ الصلاة بعد، هو تذكر ذلك قبل الدخول فيها، أما إذا كبر ودخل الصلاة بالنية الأولى الفاسدة فلا يجوز تصحيح النية داخل العمل، هذا كلام ابن رجب في كتاب جامع علوم الأدب، وهو شارح للأربعين النووية وزاد عليهم ثمانية أحاديث فجلهم خمسين حديثًا.

مثال آخر؛ افترض أني دخلت الصلاة لأجل الصلاة فقط، وخشعت في الصلاة ثم سمعت بكاء من خلفي تأثرًا بقراءتي، فأعجبت بنفسي وأكملت القراءة وتباكيت أكثر، وكلما ازدادوا بكاءً ازددت أنا إعجابًا بنفسي، هنا عملت لأجل الناس رغم أن نيتي قبل العمل لم تكن كذلك، فهل يحبط هذا العمل مثل الأول؟ يقولون: لا يحبط كله؛ لكن حبوطًا جزئيًا، فلو أني دخلت بنية صحيحة وداخل العمل فسدت النية.. فالجزء صحيح النية مقبول، والآخر

مردود. حال ثالثة؛ دخل للصلاة أو أي عمل، وأثنائه تردد ما بين الأمرين، قلنا: له ما نوى، صحيح النية مقبول، وفاسد النية مردود، إذن لكي تؤجر على عملك مهم جدًا جدًا جدًا جدًا قبل العمل أن تسأل نفسك لماذا تعمل هذا العمل.

حكم النية بعد الانتهاء من العمل

النية لا تصحِّح العمل بعد انتهائه، هل النية الصالحة بعد العمل تصحح العمل؟ لا؛ لكننا يدرس ذلك لكي تنتفي عنده الآفات التي كانت في العمل، فمثلاً صليت العشاء وبعد الفراغ منها تذكرت أني لم أنوي كذا وكذا وكذا هنا لا يمكن تصحيح نية هذه الصلاة.

هل النية السيئة بعد العمل تفسده؟ لاتفسده؛ النية متعلقة أثناء القيام بالعمل أما بعده فلا تؤثر فيه، فالعمل نفسه كان جيدًا؛ لكن صنع أشياء أخرى من مراءاة الناس بهذا العمل، فمثلاً أنا حفظت القرءان لله فقط، ثم بعد ذلك ظللت أقول للناس: أنا حافظ لكتاب الله، أنا حافظ لكتاب الله، الحفظ نفسه كانت نيته صالحة، لكن بعد ذلك دخله رياء، فهذا قد يحبط عمله؛ من جهة أنه اكتسب سيئات، والحسنات تُذهِب السيئات والسيئات تُذهِب الحسنات، افترض أن الحافظ هذا كان له خمسين ألف حسنة ثم عوقب بسيئة واحدة جزاء رياءه، فتسحب هذه السيئة من رصيد حسانته، فتصبح تسع وأربعين حسنة، وهكذا. وأيضًا الحسنة تُذهِب السيئة فإن فعلت سيئة ثم فعلت حسنة، فالحسنة تجبر النقص الأول وتمحو أثره.

الأعمال الفجائية

الأعمال الفجائية التي لايُستحضَر فيها نية؛ هل يؤجر الإنسان عليها؟ نعم يؤجر عليها، على أي اعتبار يؤجر؟ لم يمهله الوقت لينوي، وغيره لم يفعل فعله هذا، مثلاً هو رأى سيارة تنقلب فتحرك لإنقاذ مَن فيها وآخر لم يتحرك، ففعله هذا من صلاح معدنه وباطنه الذي دفعه لعمل هذا، فيؤجر على ذلك إن شاء الله، لكن ما نتكلم عليه هي الأعمال التي يمكن أن يتمهل قبل البدء فيها لا الأعمال الفجائية، كما قلنا نمرر الأمر على القلب في ثوانٍ، ثم ندخل في العمل، إذن لابد من عمل القلب. هذا ما تيسر حول الحديث الأول.

أنواع الشروح

الشروح تنقسم إلى ثلاثة أنواع: شرح يسير، وشرح متوسط، وشرح منتهٍ، طبعًا في يومين يستحيل أن أشرح لكم الشرح البسيط، شرحت سبعة أو ثمانية أحاديث منها بالشرح البسيط، سأذكر لكم كتب فيها، لكن في هذا المقام الشرح المستفيض، لكن سريعًا سأضع نقاطًا مهمة حول الأحاديث.

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على النت في قسم تفريغ الدروس في منتديات الطريق إلى الله تفضلوا هنا:

http://forums.way2allah.com/forumdisplay.php?f=36